الشيخ الحسين حمّادي السوفي
(1900ـ 1982م)
ودوره في خدمة المذهب المالكي في جنوب سوف والجنوب التونسي

بقلم
أ/ علي خضرَة (*)

ملخص

إن منطقة سوف بالوادي تزخر بكثير من الرجال، الذين خدموا وطنهم في مجالات شتى، وإن من أعلام هذه المنطقة الذين أبلوا بلاء حسنا في خدمة دينهم، بنشر الفقه المالكي وتعليم القرآن الكريم وتحفيظه، الشيخ الحسين حمَادي (1900-1982م) دفين مقبرة النخلة، الذي ورث عن أبيه الإمامة والتعليم والإفتاء، وقد خاض الشيخ تجربة في عطائه الفكري بمنطقة سوف والجنوب التونسي.

الكلمات المفتاحية: حسين حمادي- أعلام سوف- مالكية الجزائر- التعليم القرآني.

مقدمة

إن مما تزخر به بلادنا الحبيبة تاريخها الحافل بالأحداث، ورجالها الذين صنعوا صفحات في سجل التاريخ وكتبوا من خلال مواقفهم البارزة بذكريات خالدة لا يمكن أن ينساها الأجيال على مر الليالي والأيام، ولو غفل عنها بعضهم قصدا أو سهوا، فإن سجل التاريخ سوف يحفظها لهم.

وإذا كان الحديث عن فطاحل في الفكر والعطاء برزوا للأمة بجهادهم العلمي

(*) أستاذ مساعد "أ" بقسم العلوم الإنسانية ـ كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ـ جامعة الوادي.
Ali.khedourah@gmail.com

والفكري وعطائهم المعنوي والمادي، وما قدموا للأجيال اللاحقة في خدمة أمتهم ودينهم من فقه وتنظير وتضحية في نشر كتاب الله تعالى وتعليمه هو من أضعف الجهد ورد الجميل في معرفة قدر هؤلاء الأعلام والرموز الشامخة، فما بال القارئ الكريم إذا نظر إلى زمانهم وظروف حياتهم وفترة بروزهم، وما صاحب ذلك من عوامل داخلية وخارجية تمنع من العطاء وتكسر الجهود، بل وتحارب كل محاولات الخدمة لتوعي الأبناء ونشر قيم العدل والوحدة والإخاء ومنع الظلم والقهر والجفاء.

وتتناول الورقة الحديث عن واحد من أبناء بلدنا العزيز، ومن منطقة عرفت بتفاني أبنائها خدمة لأمتهم ورسالتهم، ألا وهي منطقة سوف بالجنوب الجزائري ولاسيما بعد هجرة القبائل العربية من تونس إلى جنوب الوادي في وقت مبكر خلال القرن السابع الهجري،بدأت حركة العطاء العلمي والفكري تعرف النور وتؤسس للبدايات الأولى في منطقة الوادي.

وبطبيعة الحال فإن لهذه المنطقة جهاد كبير وتاريخ حافل بالأحداث، وخصوصا في الفترة الاستعمارية وبالذات في مطلع القرن الميلادي الماضي حيث أحكمت الإدارة الفرنسية قبضتها على الجزائر عموما وعلى الجنوب الجزائري خصوصا بإخضاعه للحكم العسكري المباشر وتقييده بقوانين التجنيد الإجباري والإدماج والتعليم الفرنسي، ومنع تعليم اللسان العربي...وغيرها.[1]

وفي هذه الحقبة العصيبة ظهر أعلام كثر،كان لهم الأثر البارز في تاريخ المنطقة وجهادها العلمي والفكري، منهم من عرف آنئذ أو في ما بعد وانتشر خبره وذاع صيته وظهر عطاؤه، ومنهم من لم يكتب له البروز فكان مصير جهاده طي النسيان، ولا يقبل هذا الصنيع عاقل في حق الرجال.

قال تعالى في حق هؤلاء الأعلام وأمثالهم من رجال السلف والخلف من أمة الإسلام: ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾.[2]

وبحكم انتمائنا إلى هذه المنطقة وانشغالنا في مجال البحث فقد رأينا أ ن نسلط الضوء

في هذه الصفحات على واحد من الرجال. ولا نزكي على الله أحدا. الذين نقشوا بأنامل أصابعهم حروف تخليد اسمهم في ذاكرة الأجيال.

ومما زادنا اهتماما بالموضوع ورغبة في البحث هو علاقة هذا العلم بالمنطقة التي نسكنها، بلدة النخلة الواقعة بجنوب سوف مسقط رأسه. عليه رحمة الله. حتى لا نكون من ناكري المعروف، ممن ينقصون حق الرجال، وليس غريبا على أهل جنوبنا الكبير بما شرف ويشرف به الوطن العزيز من ثلة من عباقرة العلم والفكر، وإن من بينهم هؤلاء، رجل نذر عمره خدمة لكتاب الله.

هذا العلم و صاحب الشخصية المرموقة والأثر المحتفى به، هو الإمام الشيخ الحسين حمادي. عليه رحمة الله. دفين مقبرة النخلة.[3]

وقد تناول البحث مقدمة للموضوع، بينت فيها أهمية معرفة حق الرجال وواجب الأجيال تجاه رموزهم ولاسيما العلمية بما أسدت وما قدمت في خدمة الدين والحفاظ على الوطن وخصوصا في الفترات العصيبة كحالة علمنا أثناء الحقبة الاستعمارية البشعة، ثم سلطت الضوء عل حياته الشخصية وكيف بدأت مسيرته في رحلة التكوين لشخصيته العلمية خصوصا، إلى أن انتهى به المقام إلى منبر الوعظ والإرشاد والإمامة والإفتاء.

كما أعقبت مسيرته الشخصية وتكوينها بنضاله العلمي فتناولت جوانب من جهوده في خدمة المذهب المالكي عملا وفتوى وعلى المجتمع السوفي والجريد التونسي، وقد كانت أبرز هذه الجهود العلمية والفقهية في مجالات التدريس والإقراء والوعظ والإرشاد والفتوى والإصلاح الاجتماعي والعشائري والنصح الفردي والتذكير والدعوة وغيـرها.

كما ذيلت المقالة بشيء من آثاره. رحمه الله. العملية والعلمية ثم أهم المواقف التي نقلت إلينا أو سمعناها أو تناقلها الأجيال أو نشرها ممن كتب عن الشيخ، ولعل معظم الشهادات كانت شهادات حية من طلبة الشيخ وتلامذته ثم دونت ووثقت لكي لا تذهب في صدور أصحابها.

وثمرة هذا البحث وخلاصته أن نسهم ولو بشيء قليل على إبراز جهود هذا العلم من أبناء منطقتنا، وما قدمه في خدمة المذهب المالكي خصوصا. من هنا كان السؤال التالي: من هو الشيخ الحسين حمادي ـ رحمه الله ـ ؟ وما هي جهوده في خدمة المذهب المالكي ؟ وما هي أهم المجلات التي برز فيها ؟

أولا : السيرة الذاتية :

1.نسبه ومولده :

هو الحسين بن علي بن بن حمادي بن علي بن سالم بن نصيب بن علي بن بلقاسم بن لعجال بن بلقاسم بن العزَّال.[4]

والعزال هو جد العزازلة، ويرتقي نسبه إلى الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ـ صلى الله تعالى وسلم على أبيها ـ ورضي الله عنها.

ولد الشيخ الحسين حمادي بن علي بن حمادي بن علي سنة 1900م بالنخلة [5]، والده علي حمادي إمام مسجد النخلة "مسجد الشيخ الحسين حمادي حاليا" [6] وقد توفي والده في شهر رمضان الموافق لشهر أكتوبر 1941م عن عمر ناهز الثمانين، والدته مريم بنت عبد الله عباسي من حي العبابسة بالبياضة، توفيت عام 1937م تزوج بعدها والده خديجة بنت العربي كنيوة، ولم ينجب منها وتوفيت بعده بعدة سنوات، وقد كان الشيخ الحسين سادس إخوته،وأصغرهم سنا.[7]

أسرة الشيخ الحسين حمادي كانت أسرة يسيرة الحال،شأنها شأن معظم أسر سكان المنطقة حينها،ولكنها تميزت عن غيرها من الأسر السوفية أنها كانت أسرة علم ومكانة روحية عالية بين الناس لاشتغال أبنائها بالإمامة وتدريس القرآن ومعاونة الناس،مما جعل الشيخ لحسين لا يخرج عن نهج والده فخلف والده في إمامة المصلين بالمسجد العتيق بالنخلة.

2.نشأته وحياته: [8]

تلقى الشيخ الحسين حمادي تعليمه الأول علي يد والده الإمام علي بن حمادي،ولكنه لم

يمكث طويلا،إذ كان شديد التعلق بالنهضة التونسية في الجريد التونسي في حفظ القرآن وتدريس المتون، فالتحق بزاوية "سيدي إبراهيم بن أحمد الشريف" بنفطة وأوصى عليه والده شيخ الزاوية آنذاك الشيخ "لحبيب" الذي كان آية في حفظ القرآن تلاوة ورسما وعدا، فأكمل الشيخ الحسين حفظ القرآن كله في هذه الزاوية وتعلم بعض العلوم الخادمة لفهم كتاب الله: كالفقه والتوحيد والتفسير والنحو والصرف والميراث.. وغيرها.

وقد كان من أبرز شيوخه بنفطة: الشيخ" محمد بن حمد"، والشيخ "إبراهيم الصمادح" والشيخ "التابعي بن الوادي" بالإضافة إلى الشيخ " لحبيب" الذي كان أكثر من تعلق به الشيخ الحسين وتأثر به، كما تميز السيخ الحسين عن أقرانه بتفوقه الدراسي، وبعد هذه المرحلة من حياته اضطرته الحاجة إلى العمل بعد رسالة أبيه سنة1918م أن والده لم يعد يقدر على إعانته،وفي بحثه عن مصدر يسترزق منه، التقى في محطة القطار بتوزر بأحد أعيان عائلة "العمامي" ببلدة "المكناسي" فاقترح عليه تدريس القرآن ببلدة الخروبة بعد أن علم أنه من حملة كتاب الله.

وقد واصل السيخ الحسين تعليمه للقرآن في هذه البلدة إلى غاية سنة 1940م،وأثناء هذه المدة التي استقر فيها بالمكناسي كان يتردد على جامع الزيتونة لإكمال دراسته وإشباع نهمه العلمي فانخرط في صفوف طلاب الجامع الأعظم "الزيتونة"، وفي طريقه للجامع كان يتنصت إلى كلام الشيخ الطاهر بن عاشور لطلبته، وقد نال شهادة الادعاء في أول امتحان له بالزيتونة ثم أتم السنة الخامسة والسادسة بنجاح سنة 1932م وانقطع بعدها لظروف خاصة وقعت في تونس في ما سمي بفتنة التجنيس،سنة 1933م.

ولقد درس الشيخ الحسين الذي حمل في الوثائق الرسمية والسجلات بجامع الزيتونة اسم "الحسين بن علي السوفي" على عدد من المشايخ المتخصصين في عدد من العلوم ومنهم: الشيخ محمد عبد العزيز النيفر، الشيخ محمد الحطاب بوشناق، الشيخ أحمد بن عثمان، الشيخ محمد التارزي، الشيخ إبراهيم النيفر، الشيخ محمد البشير النيفر، الشيخ محمد الزغواني[9]

وفي صيف هذه السنة قرر أن يلتحق بجامع الأزهر، فبدأ يعد العدة من أجل هذا

الحلم، ولكن والداه كانا قد رتبا لابنهما لوازم إتمام نصف دينه، فتزوج في: 17 رجب 1353هـ الموافق لـ:25 أكتوبر 1934م.

" كان للشيخ الحسين طموح كبير وهمة عالية، للدراسة بالأزهر الشريف، ولكن الظروف حالت دون دلك، فاضطر للاستقرار في بلدته النخلة...ومما قاله في تمنيه الذهاب إلى مصر بيتين من الشعر تدلان على قدرته على النظم:

فلو كانت الدنيا تدوم رأيتني سكنت بمصر فهي أحسن موطني

ولكنها ليست تدوم لحادث لهذا رضيت منها بالوطن الدني "(10)

وفي شهر رمضان المعظم سنة 1940م قام بزيارة عائلية إلى أهله بالنخلة، بعد أن مكث المدة التي بعد زواجه في الخروبة بالمكناسي وبجوار مسجدها مدرسا ومعلما لكتاب الله، ويشاء الله أن تكون هذه الزيارة هي الأخيرة لوداع والده ومعلمه الأول حيث توفي الوالد يوم الأربعاء 22 رمضان 1356هـ/23أكتوبر1940م وقد أوصى ابنه خيرا ليلة وفاته بالمسجد والجماعة، فما كان من الابن البار بوالديه إلا أن نفذ وصية والده واستخلف والده في إمامة إخوانه المصلين بالمسجد العتيق بالنخلة فكان بحق إماما وواعظا ومفتيا وقاضيا، بل ومصلحا وداعيا إلى كتاب الله والعمل به.

وفي أوائل الخمسينيات أصيب الشيخ الحسين بمرض النسيان فنسي كل شيء إلا القرآن، ولم يعد يدرس القرآن فكلف تلاميذه الكبار بالتدريس عوضا عنه ومنهم: ابنه الطالب لمين والطالب عمر شويرفات والمكي بن علي ومحمد الكبير خالدي.

وفي سنة1957م تم نفي الشيخ من طرف الإدارة الفرنسية إلى تونس واستقر في بلدة الرديف،ومكث فيها أكثر من خمس سنوات وهو يواصل تدريس القرآن في المدرسة التي أنشأها "محمد بقاص" بذات البلدة إلى أن جاءت لحظة الفرج الأكبر على كل جزائري غيور على دينه، وهي لحظة الاستقلال والحرية، حيث عاد الشيخ الحسين إلى وطنه الأم وإلى مسقط رأسه النخلة التي أحبها وأحبته وأحبه أهلها، ورجع إلى إمامة أهلها وتدريس القرآن، ولم ينس حتى المكفوفين إذ خصص لهم وقتا يعلمهم شيئا من القرآن والفقه والحديث النبوي.

3 المرض والوفاة:

في مطلع سنة 1982م بدأت أيام السيخ الحسين تتداول بين تعب وتقدم السن والمرض المرهق، وبحلول شهر مارس من نفس السنة تدهورت صحته وانقطع عن المسجد ولزم الفراش ابتداء من يوم: 24 مارس 1982م، واستمرت معاناته مع المرض إلى منتصف شهر أفريل حين فاضت روحه إلى بارئها صباح يوم الخميس 21 جمادى الثانية 1402هـ الموافق لـ: 15 أفريل 1982م.(11)

"كانت جنازته جنازة مهيبة وكبيرة جدا، طلبت من عمي الصلاة عليه، وكذلك الإمام للصلاة عليه لكنهم رفضوا فصليت عليه أنا (ابنه لمين)، وكل ثلاث صفوف احد يسمع الناس حتى يسمع الناس لكثرتهم.

وفاته كانت كبيرة جدا على الجهة فليس له مثيل في ذلك الوقت، إذا أردنا أن نقتدي بالرجال المخلصين الذين كرسوا حياتهم لخدمة الدين وتحفيظ كتاب الله والنضال من أجل الوطن.(12)

ثانيا : جهوده في خدمة المذهب المالكي:

لقد كان لتلقي الشيخ الحسين في تكوينه الأولى عن طريق والده ومن بعدها على أيدي مشايخ الزاوية بنفطة وكذا شيوخ جامع الزيتونة،أثر كبير في تكوين مشربه الفقهي ورسم معالم منهجه الفكري والعقدي، ومما لا يخفى على أي دارس ومطلع على آثار الفقهاء المغاربة عموما أنهم انتهجوا في مدارسهم الفقهية علما وعملا مذهب إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس الأصبحي الحميري اليمني، المولود بالمدينة المنورة سنة 93هـ الموافق لـ :712م والمتوفى بها سنة 179 هـ الموافق لـ : 796 م.

والشيخ الحسين . رحمه الله تعالى . واحد من الأئمة الذين جروا مجرى آبائهم ومعلميهم فكان في منهجه الفقهي متمسكا بالمذهب المالكي، ولم يعرف عنه أنه أفتى بغيره، وإن كان قد اطلع على بعض المسائل الفقهية وحكمها عند باقي الفقهاء وخصوصا الأئمة الأربعة،لأنه ثبت عنه أنه . رحمه الله تعالى . كان يرجح عمل الإمام مالك على غيره ويتضح هذا جليا من قضائه وفتاويه وكذا معظم عناوين مكتبته التي

يغلب عليها ولاسيما في المجال الفقهي كتب السادة المالكية.

منهج الشيخ الحسين حمادي في خدمة المذهب المالكي :

1. تحفيظ متون الفقه المالكي مع القرآن :

عمل الشيخ الحسين منذ توليه التعليم سواء في تونس أو في جنوب الوادي على تعليم متون الفقه المالكي التي عرفت الشهرة عند المالكية المغاربة كمتن ابن عاشر "الحبل المتين" وكانت طريقة الشيخ أن تكتب في الألواح كما يكتب القرآن الكريم، وبالأخص إذا رأى الشيخ من بعض طلابه فطنة ونشاطا ملحوظا، زاده في التحصيل فدله على الرجوع إلى شرح سيدي خليل بحاشتي الدسوقي وأحمد الدردير أو متن الرسالة لعبد الله بن أبي زيد القيرواني، أو الخلاصة الفقهية لابن جزي الغرناطي...وغيرها من مصنفات الفقه المالكي بالإضافة إلى موطأ الإمام مالك بن أنس. رحمه الله..

2. ملازمة المذهب المالكي في الفتوى، وعدم الخروج عنه إلا للضرورة:

ويتضح جليا من خلال شهادات الطلبة الذين كانوا يدرسون عنده القرآن،كما يذكر هذا الأمر أحد طلبته فيقول: عنه" ولكن الشيخ لا يخرج عن المذهب المالكي ولا يفتي بغيره إلا لضرورة كحال الإصلاح،أو إبعاد المشقة والضرر كرمي الجمرات في الحج قبل الزوال "[13]

وقد ذكر بعض طلابه أيضا ومن نقل عنهم سيرة الشيخ الحسين أنهم بحثوا عن حالات الإصلاح التي قام بها الشيخ بين الناس، فلم يجدوا فيها مسألة واحدة خرج فيها الشيخ عن قول السادة المالكية في فتواه، وليس في اطلع عيه في أقوال الائمة في العديد من المسائل.

3. رفض التلفيق بين المذاهب:

وهذا الأمر يتضح جليا من فتاوى الشيخ، إذ كان الناس يستفتونه في أمور دينهم ويأخذون مشورته في أمور دنياهم التي يشكل عليهم فيها وجه الصواب والدقة، واستكمالا للشهادة السابقة يقول المتحدث ذاته، عن رأي الشيخ في المسألة التي لها أكثر من قول، إذ يقول المتحدث: "لأن الشيخ الحسين لا يرى بأسا من تتبع الرخص للضرورة، ولكنه لا يجيز التلفيق بين المذاهب"[14] ومنم المعلوم أن التلفيق الذي يمنعه الشيخ هو

الأخذ في المسألة الواحدة بأكثر من رأى من مذهبين أو أكثر والوصول إلى حقيقة مركبة (ملفقة) لا يقرها أحد الأئمة. والغرض عند الشيخ في عدم إجازة التلفيق هو أن لا يجمع المقلد قول إمامين أو أكثر في فعل له أركان وجزئيات لها ارتباط ببعضها لكل منها حكم خاص مختلف فيه بين اجتهاداتهم فيقلد أحدهم في حكم ويقلد غيره في حكم آخر.

ومما يعذر الشيخ فيه لهذا النهج أن الغالبية المطلقة ممن يستفتونه من طبقة العوام والمستمعين والناشئة من طلبة العلم، وبحكمة منه. رحمه الله. أن لا يوقع المستفتي في حرج للأخذ من أقوال الأئمة، فالأولى في نظر الشيخ أن يحافظ السائل على أقوال فقهاء المالكية ويعمل بها، بدل أن يوضع في موضع المرجح بين الأقوال، وليس له أهلية للمقارنة بين أقوال الفقهاء.

4. عدم التعصب لرأي المالكية حال وقوع الدليل الأقوى مع غيرهم:

وهذا من شيم الشيخ الحسين فبالرغم من أنه كان ملازما للمذهب المالكي ولا يحيد عنه قيد أنملة، إلا أنه كان لا يحب التشدد والتنطع والتعصب، فلا يخطئ مخالفه في المذهب، ولا يراه بعين الريبة والانحراف، بل يحترم رأيه، ولا يعارض اجتهاده ما دام ملتزما بالحكم الشرعي، ولا غرو أن يكون هذا من صنيع الشيخ، فقد كان "ذو أخلاق حسنة مع كل الناس، إذا قصده المحتاج لا يخرج خاوي الوفاض... له فضل على أهل النخلة وعلى كثير مما سواها، وما أصدق وأجمل ما وصفه به الشيخ حمد توبة – وهو من تلامذة الشيخ الحسين – في مرثية قالها في رثاء معلمه وفيها زهاء عشرين بيتا، مطلعها :

نم قرير العين يؤنسك الذكر..

إلى أن يقول:

مكارم الأخلاق فيك سجية ❊❊❊ في شخصك نبتت أصولها العشر

دين وعلم حياء وعفة ❊❊❊ كرم وفاء ثم لين وصبر

صدق أمانة زدت حلما بشاشة ❊❊❊ لمقدم الضيف يعلو وجهك البشر "[15]

5. ورع الشيخ الحسين في الفتوى:

وهذا شأن إمام دار الهجرة، الإمام مالك بن أنس،حيث كان يفتى في خمسين مسألة مثلا، فلا يجيب إلا على القليل منها، وشيخنا الشيخ الحسين حمادي كان يتهيب الفتوى

ولقد تقلد الإفتاء لعدم وجود من يفتي ويبين الأحكام للناس بجنوب الوادي، وحتى إذا أفتى "لا يستعجل فيما أستفتي فيه،وفي كثير من الأحيان يطلب من المستفتي أن يراجعه في الغد، أو بعد الغد أو الأسبوع القادم إن لزم الأمر.كما أنه لا يجيب إن حدث له لبس أو غموض في قضية ويوجه المستفتي إلى من له القدرة على ذلك، لا يجيب للمشاحن الذي يريد الانتصار لرأي تعصب له، مقابل رأي مخالف لمشاحنه.." (16)

6. **التدقيق والتفصيل والإحاطة بحيثيات الفتوى**:

حيث كان الشيخ الحسين يتثبت جيدا في حوليات كل مسألة يستفتى فيها ويدقق مبلغ حسه في كلام السائل، وقد جاءه مرة أحد وسأله عن السفر في رمضان والتقصير في الصلاة، ولما كان هذا الشخص من العاملين في مجال تهريب السلع عبر الحدود، فقد فصّل الشيخ الإجابة تفصيلا شافيا لا لبس فيه، وبعد أن تطرق إلى جواز السفر في رمضان وشروط التقصير، ختمه بقوله" أمّا سفر ليبيا إن كان مباحا يجوز فيه التقصير، وإلا فلا "(17)

أهم المجالات التي برز فيها دور الشيخ الحسين حمادي في توعية جنوب الوادي والجريد التونسي:

تبوأ الشيخ الحسين مكانه هامة في المجتمع السوفي لطيب سيرته ومحاسن أخلاقه بينهم، مما جعله يدخل قلوب الناس دون استئذان محبة ومهابة، هذه المنزلة للشيخ بين الناس جعلتهم يستفتونه ويأخذون بمشورته، حتى قال فيه أحد طلابه: "وفي النخلة كان أبا للجميع، مسموع الكلمة وموضع الاحترام والإجلال،فطلبته يقولون كنا نحبه كثيرا ونجله، ويعاملنا معاملة الأب لأبنائه، وعندما نفي من النخلة أظلمت النخلة وسادها سكون رهيب وفراغ قاتل، ولم ترى الناس أياما أضيق عليها من تلك الأيام، فكأن لكل بيت عزيز متوفى، وأصبحت البلاد قفرا على حد تعبير الشيخ توبة." (18)

وما زال لحد الآن لا يذكر اسم الشيخ الحسين حمادي إلا ويترحم عليه من طرف الجميع، وكم من الأثر الطيب تركه في قلوب أهل النخلة.رحمه الله تعالى.

هذا المقام للشيخ، جعله يتفانى في خدمة خلق الله ونشر تعليم كتابه، تعبدا لله رب العالمين، من خلال عدة مجالات كان الشيخ قد اتخذها في تفاعله الاجتماعي ودوره

الهدائي الإصلاحي، وقد تلخص أهمها في المحاور التالية:

أولا. **تعليم القرآن وتعليم الفقه ومتونه** :

كان للشيخ الحسين مع تعليم كتاب الله محطات متعددة المراحل في المكناسي والرديف وفي النخلة قبل النفي وبعده، مما أكسبه هذا التنقل تجارب عدة في تعليم كتاب الله تعالى،كما أن أسلوبه في تعليم كتاب الله تعالى للكبار والصغار قد اعتمد على الطريقة التقليدية باللوح، وبعض المتون في ما يتعلق بعلوم القرآن، مثل: مورد الضمآن، الداني الفاسي والمصباحي في الرسم، متون الفقه كمتن ابن عاشر وسيدي خليل والموطأ والرحبية في علم المواريث وكذا الخلاصة الفقهية...وغيرها

وكان وقت التدريس من قبل الشروق حتى الضحى، وكان التحفيظ تركيزا على الصغار ولكن كان هناك أيضا للكبار وتدريسهم كمحو للأمية للسور القصار، ولم تكن له دروسا بانتظام وإنما كانت مناسباتية.ومن المشايخ الذين عاصروه: عبد الكريم عسيلة- الهادي العمامرة.عوينات البخاري.[19]

وكان الشيخ يدرس الفقه والنحو والصرف وله معرفة كبيرة بالنحو، وظل الشيخ إماما ملتزما بوصية والده بخلافته الإمامة بقرية النخلة فعكف على تعليم الأجيال المتون باللغة العربية، والقرآن وبعض العلوم الشرعية فتخرج على يديه عدد كبير من الحفاظ لكتاب الله قدر بحوالي 95 طالبا.

يقول أحد طلبته، عنه: "كل من التقيت بهم من معلمي القرآن في ربوع هاته الولاية. ولاية الوادي . قديمهم وحديثهم، ما وجدت شخصا يشبهه حتى الشبه، فضلا بأن يكون مثله، والسر في هذا.والله أعلم.توفر شرطين:

أما الشرط الأول: الكفاءة وحفظه لكتاب الله

ثانيا: فهمه لأسرار هذا الكتاب والعربية التي يتمتع بها والفقه. وكان رحمه الله متوغلا في الفقه المالكي...والشيء الذي سمح له في إنقاذ هاته القرية . النخلة . وما جاورها هو كثرة زاده والإخلاص، لأن المعلومة هذه لاتصل إلا بالإخلاص.." [20]

ثانيا. الإمامة والوعظ والإرشاد الديني:

كان الشيخ من الزهاد في الإمامة، يتهرب منها حيثما وجد لكن وصية والده وطاعته

له جعلته يتحملها وهو يتمثل قول والده له : وقد كان آخر ما لفظت به شفتا والده ليلة أخذت روحه إلى بارئها "هنيني على الجماعة في صلاة الصبح "فحمل الشيخ الوصية محل الجد وجعلها نصب عينيه طول حياته، وكان يقول لطلابه: "إن وصية أبي هي التي ربطتني بالإمامة في النخلة،لأن الإمامة مسؤولية أمانة لا يحملها إلا من يقدرها حق قدرها ويعي تبعاتها "، ولما نفي إلى تونس عرضت عليه الإمامة فأباها، وكان يجتمع إليه بعض مشايخ أصحاب المدارس الحرة،ليتلقوا عنه دروس في الفقه والنحو.وغيرها، فإذا حضرت الصلاة قال لهم ليؤمنا أحدكم فإني لا أصلح لها، ولما عاد إلى النخلة غداة الاستقلال باشر الإمامة مجددا تنفيذا لوصية أبيه.[21]

ثالثا.الفتوى والإصلاح الاجتماعي:

من أبرز ما قدمه الشيخ في تفاعله الايجابي مع أفراد مجتمعه هو ميله للتيسير في الفتوى ونبذ التشدد والتعسير، حتى يحبب للناس العمل والتعبد وفق منهج متوازن في العبادة، "وقد خصص جزءا من بيته لاستقبال طلاب العلم والفتوى،ولضمان التدقيق والتحرّي والسرية التامة للفتاوى ذات الطابع الشخصي،والفتاوى التي تثير جدلا لدى العامة لخصوصيتها وطابعها الاستثنائي ".[22]

رابعا.القضاء وفعل البر والإحسان:

إن مكانة الشيخ ومنزلته بين أهل النخلة، وحتى لما كان في تونس وثقة الناس به جعلتهم يرجعون إليه في قضاياهم التي يختلفون فيها، أو يشكل عليهم فيها وجه الصواب مما جعل الشيخ يتبوأ مكانة القاضي الأول والحكم يرضى بحكمه الجميع خصوصا في قضايا الميراث وما يتعلق به، والقضايا الأسرية والاجتماعية، وأيضا قضايا العقار والأراضي والأملاك الخاصة أو ما يتعلق بالمسائل المالية كالبيوع والإجارة والديون وغيرها.[23]

الخاتمة

إن هذه الإطلالة الموجزة التي وقفنا فيها على علم من الأعلام المرموقين في منطقة الوادي والنخلة بالذات لتعطي للسامع الكريم أن واجب الأمانة الذي يشترك فيه

الجميع هو أن لا يقطع خط التواصل بين هذه الجبال الشم من العطاء والفكر رغم صعوبة الظروف ومعاكسة الأحوال، وبين الأجيال اللاحقة التي تنعم بالرخاء والسعة وتحسين الأحوال والظروف على كل المستويات.

وحتى نسهم في بعث جهاد هؤلاء الأبطال رأينا أن إطلالة على هذا العلم الذي علم أقرانه وأجياله،وكل من عرفه كيف ينفق عمر العبد في خدمة كتاب الله تعالى ونشر تعاليمه السمحة، وكيف يستطيع أن يوفق بين الحياة الخاصة والحياة العلمية.

إن خدمة القرآن التي قدمها الشيخ الحسين وتركها أمانة في رقاب من بعده وطريقة نشره لمذهب الإمام مالك في الجنوب التونسي وجنوب الوادي وفق منهج بعيد عن التعصب والتشدد والانحلال، لتزيد من مهمة اللاحق في كيفية التعامل بين النص الشرعي وتنزيل ذلك في أرض الواقع، وفي أوساط ازدادت تعلقا بالمادية وابتعدت كثيرا عن روح التفاعل الايجابي مع روح الشريعة ومقاصد الإسلام.

- المصادر والمراجع :

(1) د. علي غنابزية: مجتمع وادي سوف "من خلال الوثائق المحلية في القرن 13ه التاسع 19م" رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الجزائر، 2000/2001م.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 23.

(3) محمد العيد قدع: الشيخ الحسين حمادي، دوره الاجتماعي ونشاطه العلمي والتربوي بتونس ووادي سوف 1902.1982م مطبعة ذويب ط2013،1م، ص14

(4) محمد الصالح بن علي: الشيخ الحسين حمادي، حياة علم وكفاح من إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، مطبعة سخري، ط1، 1433ه.2012م، ص37

(5) عن هذه البلدية ينظر ما ذكره الأستاذ محمد الصالح بن علي في المرجع السابق ص37.

(6) المسجد مشهور بهذه التسمية، الأستاذ محمد الصالح بن علي نبذة عن هذا المسجد في المرجع السابق ص71.

(7) أعلام سوف، مديرية الثقافة، إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، مطبعة مزوار، 2006، ص 24.

(8) محمد العيد قدع : الشيخ الحسين حمادي، مرجع سابق ص 43 وما بعدها

(9) :د. محمد السعيد عقيب، الشيخ الحسين حمادي ونشاطه التعليمي في تونس ووادي سوف، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي: التوصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس 10/11 نوفمبر2013، ص3و4.

(10) محمد الصالح بن علي : الشيخ الحسين حمادي، مرجع سابق ص 55.

(11) المرجع نفسه ص171.

(12) د/ محمد السعيد عقيب، المرجع السابق ص 9.

(13) و(14)لقاء مع لزهاري حميداتو"من طلبة الشيخ الحسين" نقلا عن : محمد العيد قدع: الشيخ الحسين حمادي، مرجع سابق ص 113.

(15) محمد العيد قدع: الشيخ الحسين حمادي، مرجع سابق ص 75.

(16) محمد الصالح بن علي : الشيخ الحسين حمادي، مرجع سابق ص 107، 108.

(17) محمد العيد قدع: الشيخ الحسين حمادي، مرجع سابق ص119.

(18) المرجع نفسه ص 133.

(19) حصة إذاعية: " أسماء في الذاكرة"، إذاعة سوف المحلية، حصة يوم 2007/04/27.

(20) لزهاري حميداتو، حصة إذاعية "أسماء في الذاكرة" الحلقة الثالثة، محمد الصالح بن علي: الشيخ الحسين حمادي، مرجع سابق ص 87.

(21) لقاء مع لمين حمادي "ابن الشيخ الحسين حمادي"، بمنزله بحي الشهداء نقلا عن محمد العيد قدع: الشيخ الحسين حمادي، مرجع سابق ص 116، بتصرف.

(22) و(23) محمد الصالح بن علي: الشيخ الحسين حمادي م س، ص 108.

Sheikh Hussein Hamadi Soufi (1900- 1982) And its role in the Maliki school service in the south of Oued Souf and south of Tunisia

Ali KHDHORRA *

Abstract

There are many influential fingers in the zone of Eloued they have served their country in various fields. The Sheikh Hussein Hamadi (1900-1982) is one of the flags of the region who have contributed in the service of their religion through the deployment of Fiqh al-Maliki and the education of the holy Quran.

Keywords: Hussein Hamadi - Flags Souf - Maalikis Algeria - Quranic education.

---

* Maître-assistant A : Faculté des sciences sociales et humaines, Université El-oued – Algérie.